PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(3): 762-771
ISSN:1553-6939

Health measures and treatments among the saints and saints of the Islamic Maghreb countries during the 6th and 7th centuries AH/12 and 13 AD

Mohamed Sediki[1], Djeghaibel Belkacem[2]

[1]University Ibn Khaldoun of Tiaret (Algeria).

[2]University of Biskra (Algeria).

The Author's E-mail: 9889med@gmail.com[1], belkacem1976bg@gmail.com[2]

Received: 12/2023 **Published: 03/2024**

Abstract:

The Duringthis intervention, wediscuss the role of saints and their service to the health conditions in the countries of the Islamic Maghreb during the fifth, sixth, eleventh and twelfth centuries AD, by highlighting the roleplayed by thiscategory in the healthfield, and the saints categorywas able to attract the public in thatperiod by During the participation of some of the righteous in thisfield, sothattheywereprofessional in treatment and healing by methodsaccording to the popularheritage at times and at other times through miracles and blessings, despite the factthatscientificmedicinewaspresent and strong, and it can bepointed out thatherbs and drugsplayed an important role in the therapeutic process among the saints, so the treatmentwas In itaccording to experience, includingknowledge of the effect of each plant, and perhapsamong the Sufis werethosewhohadknowledge of the origins of the plant and the possibility of includingsomerecipes in the process of treatment and treatment, and in view of the general public, despite the presence of wise men and doctorswho have knowledge of the medicalindustry, but manymembers of society preferredtreatment and treatmentwith Sufis over otherphysicians of thatperiod.

Keywords: Islamic Maghreb; guardians; dignities; medicaltreatments; Herbs and drugs

التدابير والمعالجات الصحية لدى أولياء وصلحاء بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 6و7هـ/ 12و13م

محمد صديقي[1]، بلقاسم جغيبل[2]

[1]جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر).

[2]جامعة بسكرة (الجزائر).

ملخص:
نتطرق خلال هذه المداخلة إلى دور الأولياء وخدمتهم للأوضاع الصحية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس و السّادس الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، وذلك من خلال إبراز الدّور الذي قامت به هذه الفئة في المجال الصّحّي، وقد تمكنت فئة الأولياء من استقطاب العامة في تلك الفترة من خلال مشاركة البعض من الصلحاء في هذا المجال بحيث امتهنوا العلاج والمداواة بأساليب عند طريق الموروث الشعبي تارة وأخرى عن طريق الكرامات والبركة، على الرغم من الطب العلمي كان موجودا وبقوة ، ويمكن الإشارة إلى أن الأعشاب والعقاقير لعبت دورا هاما في العملية العلاجية عند فئة الأولياء فكانت المداواة بها وفق تجربة ومنها العلم بمفعول كل نبتة ، ولعلّ من المتصوفة من كان لهم معرفة بأصول النبات وإمكانية إدراج بعض الوصفات في عملية العلاج والمداواة، وبالنظر للعامة رغم وجود حكماء وأطباء لهم دراية بالصناعة الطبية، إلا أن الكثير من أفراد المجتمع آثر العلاج والمداواة عند المتصوفة على غيرهم من الأطباء في تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية: المغرب الإسلامي؛ الأولياء؛ الكرامات؛ المعالجات الطبية؛ الأعشاب والعقاقير.

مقدمة:

ارتبط ظهور التّصّوف في بلاد المغرب الإسلامي بالتقرب من العامة والإحسان إليهم، فقد تركت هذه العلاقة بصمات واضحة على مختلف جوانب الحياة، كما كان الطب من بين الجوانب التي وثّقت العلاقة بين فئة العامة ورجال التّصّوف، لقد استعمل المتصوفة طرقاً مختلفة في معالجة مرضاهم تراوحت بين الجانب الروحي والجانب المادي، فمنها الكرامة والبركة والدعاء، ومنها ما اعتبر تقليداً أو تجربةً من الوسط الشعبي والذي كان متداولاً في عملية العلاج.

كما أن موضوع التصوف من المواضيع التي أسيل فيها الحبر الكثير، فقد دأبت الدراسات المتعددة على معالجة ظاهرة التصوف وطرق انتشارها إلى بلاد المغرب الإسلامي، وفصلت في أصل الكلمة وأعلام التصوف الذين نشروه في البلاد، لكن موضوعنا يعالج دور الأولياء في الجوانب الصحية. فالمتصوفة لم يكن لهم طب علمي قائم على الكتب الطبية القديمة كما كان عليه الأطباء في ذلك العصر، لكن اعتمدوا في المعالجة والاستشفاء على ظاهرة الكرامة التي تكون للأولياء دون غيرهم، كما انتشر الطب الشعبي القائم على الاعتماد على الأعشاب والعقاقير،

يمكن الالتفات إلى نقطة هامّة تشير إليها المادة التاريخية ألا وهي تمسّك العامّة بطبّ الأولياء وترددهم عليهم للاستشفاء وحتى بعد الممات، ويرجع هذا الإقبال إلى عدة عوامل خدمت فئة المتصوفة، منها الاقتراب الاجتماعي، فهم يعيشون نفس ظروف العامّة، خاصة الفئة البسيطة ويقاسمونهم محنهم المختلفة، فما مدى تَمكُنْ المتصوفة في المجال الطبي ومعالجتهم لمختلف الأمراض؟

1-طب الأولياء

ارتبط ظهور التّصوّف في منشئه بمخاطبة العامّة والتقرب إليهم، فقد تركت هذه العلاقة بصمات واضحة على مختلف جوانب الحياة، وكان الطبّ من بين الجوانب التي وثقت العلاقة بين فئة العامّة ورجال التّصوّف، واستعمل

المتصوّفة طرقاً مختلفة في معالجة مرضاهم تراوحت بين الجانب الروحي والجانب المادي، فمنها الكرامة والبركة والدعاء لشفاء المرضى، ومنها اللمس أو الريق أو استعمال الأعشاب والعقاقير.

كما يمكن الالتفات إلى نقطة هامة تشير إليها المادّة التّاريخية ألا وهي تمسك العامّة بطب الأولياء، ويمكن أن تُطرح بذلك عدة تساؤلات ومنها: ماهي طرق العلاج عند المتصوّفة؟ ثمّ ما مدى نجاعة طب المتصوّفة؟

لقد شكلت الأمراض هاجساً لدى المجتمع المغاربي، ولم يجدوا وسيلة للتخفيف منها إلا عن طريق المتصوّفة والسبل التي يغلب عليها الطابع الغيبي[1]، وهذا من الأسباب التي جعلت البعض من العامّة يتصلون بالصّلحاء وأصحاب الكرامات، وقد بدأ نشاط المتصوّفة الطبّي مع القرن 6هـ/12م، واستمر في التوسع والتزايد حتى نهاية العصر الوسيط[2]، وكثيرا ما تروي كتب المناقب طّبيعة المعاملة التي حظي بها العامّة من طرف المتصوّفة، وقد عرف عن المتصوّفة بمساعداتهم لفئة العامّة بما يستطيعوا خاصّة في الجانب الصّحّي، ويذكر ابن قنفذ بعض المتصوّفة بقوله: <<ورأيت منهم بفاس وهو حي ألا بها ولي الله الفقيه الزاهد الورع أبا عبد الله محمد الجناتي[3]... فكان يبادر إلى خدمة الغريب المريض ويسعى في أمره>>[4].

2- طرق المداواة عند المتصوّفة

أ-الصدقة والدعاء والرقية

ومن نماذج وطرق المداواة لدى المتصوّفة ما اشتهر به الشيخ أبو العباس السبتي[5] الذي كان يعالج الأمراض، وحل المشاكل بالصدقة، فكل مريض استنجد به يأمره بالصدقة ثمّ يشفى من مرضه[6]، وقد كانت من عادة العامّة أن يتوجهوا إلى الصّلحاء إما للتطبيب أو للدعاء للمرضي لكي يتم الشفاء على يدهم، ويذكر ابن الزيات أنّ أبا محمد بن عبد الله بن يخلف الصأبوري قال: مرضت لنا صبية، فحملناها إلى أبي يعزى ليدعو لها فدعا لها[7]، ولم يقتصر استنجاد العامّة

[1]ابن الزيات التادلي ، ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، ط2، 1997، ص، ص 214، 215.
[2]محمد حقي، المرجع السابق، ص 79.
[3] عبد الله محمد الجناتي: من فاس الفقيه الزاهد الورع من أهل العلم والصلاح والزهد، وكان الصلاح يطعمونهوالفقهاء يبرونه والعامّة ترمقه وتشير إليه. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات الجامعة للبحث العلمي، الرباط، كلية الآداب، 1965م، ص 76.
[4] ابن قنفذ القسنطيني، المصدر نفسه، ص 76.
[5] أبو العباس السبتي: هو أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي ولد بسبتة عام 524هـ/1130م نزل مراكش وبها مات عام 601هـ/ 1205م. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 452.
[6] محمد حقي، المرجع نفسه، ص 78
[7]ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 400.

بالصّلحاء في مجال الشفاء من الأمراض بل فاقه إلى مختلف الكوارث الطّبيعة، ويذكر التادلي عن أبي محمد عبد الغفور[1] عندما ذهب إلى أغمات فقال: فمررنا بقوم مجتمعين على قتل الجراد فقاموا إلى أبي محمد وشكوا إليه ما نزل بهم من الجراد، فقال لهم: لعل الله يصرفه عنكم حتى لا تعلموا هل غاص في الأرض أم صعد في السماء، فدعا لهم وانصرفنا، فرجعت من أغمات في اليوم الثّاني، فمررت بؤلئك القوم فقالوا له أقرأ سلامنا على الفقه أبي محمد وأعلمه أن الله تعالى قد أراحنا من الجراد[2]. فالجراد كان من الكوارث التي تؤدي إلى الجوع وانتشار الأمراض، وهناك نماذج متعددة في وقوف المتصوّفة مع العامّة للحد إما من الجوع أو المعالجة والتداوي، ولقد كان المصامدة يزورون وجاج بن زلواللمطي[3] من أهل السّوس ٱلأقصى ويتبركون بدعائه، وإذا أصابهم القحط استسقوا به[4].

ومن نماذج المداوة عند المتصوّفة، ما يخبر به صاحب المستفاد عن عبد الله بن معلي[5]، أنّه كان له صاحب يسمى بحجاج فضربته سكين في عينه الواحدة، وكان الحكيم ابن عمار يعالجها فقال له الحكيم ابن عمار: لا تسرف في علاج عينك فقد فسدت ولا تنتفع بها ، قال حجَّاج: فإنّ صرفت عنه وأنا باكٍ على فقد عيني، فلما قربت من مسجد ابن محمود وهو بالقرب من حانوت ابن عمار لقيت عبد الله بن معلي، فسألني عن حالي، فأعلمته بما ذكر الحكيم ابن عمار فقال لي: اطلع بنا إلى المسجد حتى ننظر عينك فأخذ بعيني وفتحها ونظر إليها ورقاها ودعا لي... فلما جن الليل قال لي أهلي: أرني نر عينك ففتحتها فأبصرت البيت وأبصرت أهلي[6].

ب-اللمس والمسح والريق:

ومن المتصوّفة من كان يعتمد على اللمس والريق[7]. كما يتحدث ابن قنفذ عن الولي أبو الحسن علي بن أيوب[8] عندما لجأ إليه رجل يشكو من وجع في بطنه يصيح منه، فمسح بيده المباركة وحرك شفتيه فذهب ألمه بقدر الله تعالى[9]،

[1] أبو محمد عبد الغفور ابن يوسف الأيلاني من أهل تاكاثرت من بلاد أيلانم ومات بأغمات وريكة سنة 586هـ. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 253.
[2] نفسه، ص 253
[3] وجاج بن زلو اللمطي: من أهل السوس الأقصى رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى السوس فبنى دار سماها "دار المرابطين" لطلبة العلم وقراء القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه وإذا أصابهم قحط استسقوا به.ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 89.
[4] نفسه، ص 89.
[5] أبو محمد عبد الله بن معلي من أهل الفضل والعفاف منقبضاً عن الناس صاحب كرامّات ومكاشفات. ينظر: أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 2002م، ص 72.
[6] أبو عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص، ص 74، 75.
[7] ابن الزيات التادلي ، المصدر السابق ، ص 296.
[8] أبو الحسن علي بن أيوب: من مدينة سلا وهو الخطيب الصالح والوالي الشهير المعلم لكتاب الله . ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 83.
[9] نفسه، ص 84.

ولقد سلك أولياء المغرب الإسلامي أسلوب العلاج بالرقي للمرضى وعالجوا الصرع من الجن والعين. وتعددت استعمالات الرقية، فنجد البعض يستعين بها عند حدوث الأمراض الوبائيّة والمزمنة[1].

ويوجد نموذج آخر لتفوق طّب المتصوّفة ما ذكره التادلي عن صديق أبي مدين شعيب[2] المدعو أبو لقمان

يزرجان ابن يعقوب الأسود[3] ت (570هـ/1175م) أنّه كان يعالج الصّرع، كما يذكر عن عبد الله بن عيسى بن صقر قال: كنت في شبيبتي تصيبني غاشية ...فحملتني-أمه-إلى أبي لقمان... فقالت له أمّا الأطبّاء فقد عجزوا ولم يبق إلا طب الله تعالى، فمسح بيده على رأسي فما أصابني الصرع من حينئذٍ إلى الأن[4]، ومن العامّة من وجدوا في طب المتصوّفة ملاذا أمناً للتخلص من بعض الأمراض خاصّة المستعصية منها.

ومن أخبار الصالحين في المداواة ما ذكر عن الشيخ الصالح أبي تميم عبد الرحمان الهزميري[5] قال: أعجب ما رأيت من أخبار الصالحين أني مشيت بأختي حين ظهر البرص بها في الوجه إلى مدينة فاس ليعالجها الأطبّاء... فلم ينفع الدواء، فرحت بها وقصدت زيارة أبي تميم فلما دخلت عليه قال لي ما سويت عندك شيئاً حتى تركتني وذهبت إلى الأطبّاء... فجاءته أختي وسلمت عليه وقعدت وجعل يحدثنا ويمسح بريقه البرص المرة بعد المرة فغلبني النوم وأنا جالس انتبهت فجدته مستنداً يذكر ونظرت إلى وجه أختي فإذا هوقد ذهب البرص منه[6]، كما تبين هذه الواقعة عن عجز أحد الأطبّاء في المعالجة وبالمقابل استطاع المتصوّفة معالجة المرض.

لكن لا يمكن الجزم في كل الأحوال بتلك النماذج، فقد ظهر في بلاد المغرب نوع من التنافس بين الأطبّاء والمتصوّفة في المجال الطبّي، وقد سعت الكرامة إلى تشويه الطبّ الدنيوي فصورته عاجزاً، وأن كثيرا منهم بعدما يئسوا من الاستشفاء عند الأطبّاء اتجهوا إلى الأولياء فبرأوا من أمراضهم المزمنة بدون أي مقابل ماعدا (الفتوح)[7]، ومن أمثلة

[1] بختة خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (1315م) واقعه وأثاره، رسالة دكتوراه، جامعة اسطنبولي معسكر، 20152016م، ص 278.

[2] أبو مدين شعيب ابن الحسن الأنصاري أصله من حصن قطنيانة من عمل إشبيلية ثم نزل بجاية أقام بها إلى أن أمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش عام 594هـ.ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 319.

[3] أبو لقمان بن يزرجان ابن يعقوب الأسود : من أهل مدينة تاقايطت من عمل مراكش كان صديقاً لأبي شعيب توفي 570هـ/1175م. ينظر: ابن زيات التادلي، المصدر نفسه، ص 252.

[4] ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه ، ص، ص 233، 234.

[5]أبو تميم عبد الرحمان الهزميري: من أصحاب أبي مدين شعيب كان حافظاً للمسائل وقبره قريب من مكناسة، ويقال له في التشوف: أبو تميم عبد الواحد الأسود تلميذ ابي يعزي، بنى مسجداً في مكناسة ولما مات دفن في رحبه. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 267، ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 31.

[6]ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ص 31.

[7]إبراهيم القادري بوتشيش، الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصر المرابطين والموحدين مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية، مكناس، كلية الآداب، ص، ص 112، 114.

التنافس بين الأولياء والأطبّاء في هذا المجال، فالأطبّاء كانوا ينكرون على الأولياء تدخلهم في هذا الميدان، بينما سعى الأولياء إلى إبراز قدراتهم على المعالجة خاصّة للأمراض المزمنة.[1]

وقد اتبع الشيخ أبو يعزى[2] في المعالجة عدة طرق أحدثت الكثير من النقد له على الرغم من أن ولايته عند جماعة من الفقهاء المجاورين له، حيث ذهبوا إلى أبي مدين شعيب وقالوا: ولكن نشاهده يلمس بيده صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن فيبرأن ونرى أن لمسهن حرام فإنّ نحن تكلمنا في هذا هلكنا وإن سكتنا تحيرنا، فقلت لهم: أرأيتم لو أن بنت أحدكم أو أخته أصابها داءٌ لا يطلع عليه إلا الزوج ولم يجد من يعانيه إلا طبيب يهودي أو نصراني ألستم تجيزون ذلك[3].

لكن الشيخ أبو يُعزى جعل معالجته مثل معالجة باقي الأطبّاء، فلا يمكن عنده أن يطعن في كيفية أو طريقة المعالجة التي يتبعها، كما أن الشيخ كان قد استعمل الدفل والريق للعلاج، ومن أمثلة ذلك ما رآه صاحب كتاب المستفاد بقوله: <<ورأيت- أبو يعزى- في بيته رجلا أخذته في وجهه أكلة وذهبت بأحد خديه فسألته عن حاله فقال لي: أنّه لما أصابني ما ترى، دللت على الشيخ فأتيت إليه، ولي عنده مدة يرقيني في غداة كل يوم، ويمضغ ورق الزيتون ويتفل ذلك في موضع العلة، فلقد توقفت زيادة العلة>>[4]، ويقول التادلي عن أبي يعزى ويحكى عنه رضي الله عنه قال مررت في بعض سياحتي بالسواحل وإذا بجارية وهي تستغيث من وجع عينها فمسحتها وذهبت فسمعتها تقول من مسح على عيني وقد استراحتا؟[5]، اشتهر الشيخ أبي يعزى كثيراً بعلاجه لمختلف الأمراض وبطرق مختلفة فقد استخدم المسح باليد والدفل والرقي.

ويذكر ابن قنفد قول أبو عبد الله التاودي حول عمل الشيخ أبو يعزى قال: حضرت عند أبي على يعزى وجيء له برجل قعد عن الحركة، فما زال يتفل عليه حتى قام[6]، لقد حاول الطبّ الصّوفي أن يقوم مقام الطبّ العلميّ أو يفوقه، ويقول صاحب المستفاد حول الشيخ أبو يعزى وصليت معه يوماً صلاة الفجر في مسجده ...فلما خرج من باب المسجد، إذا بامرأة بإزاء باب المسجد قد صرعها الجن وهي تتخبط فقال لها بكلام ... فقامت وليس بها ألم وغطت وجهها حياءً من الناس[7]، كما أنّه استعمل أوراق الدفلى التي كان يقوم بمضغها ثمّ يضعها على مكان الألم[8]، وقام بمعالجة ضرير وذلك

[1] الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 75.
[2] أبو يُعزى: قال قوم أنه من هزميرة غيروجان وقيل من بني صبيح من هكسورة وقد أناف على مائة سنة نحو الثلاثين دفن بجبل إيروجان عام 572هـ/ 1177م وكان قطب عصره وأعجوبة دهره 1146م حبس في صومعة الجامع أيام ثم خلي سبيله. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص، ص 214، 215.
[3] ابن الزيات التادلي ، المصدرنفسه، ص 23.
[4] أبو عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص 39.
[5] أحمد التادلي الصومعي، المصدر السابق، ص 138.
[6] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 29.
[7] أبي عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص، ص 35،36.
[8] ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 301.

بإرسال برقعة من برنوسه وأمره بحرقها والاكتحال برمدها[1]، ويظهر الشيخ أبو يعزى في صورة الصيدلّي فقد قال صاحب المستفاد <<وكان وصل معه بأقراص مطبوخة في دقيق البلوط...فطلبت له من تلك الأقراص، فأعطاني قرصاً واحداً...فكان ذلك القرص ترياق، فكل من أخذه وجع أوحمى أعطيته منه فيأكلها، فماهوأن يحصل بجوفه فيعافيه الله تعالى من ذلك الألم>>[2]، وهذا النموذج من الاستشفاء ثبتت نجاعته عند عامة الناس.

ج-ظاهرة الاستشفاء بالصّلحاء وقبورهم

ذهب العامّة إلى أكثر من الاستشفاء بالصّلحاء وهم على قيد الحياة، فقد كان الناس يتبركون ويستشفون بتراب الأولياء، حيث ذهب الناس إلى قبري أبو محمد مع الله بن يحي بن يجاتنالزنات[3] من حومة بلاد تادلا، وهو من أهل العلم

والعمل ت536هـ/1142م[4]، وكذلك أبو حفص عمر ابن مَيْكْيسوطالدغدوغي[5] ت(546هـ/1152م) وهو من كبار الأولياء واستشفوا بتراب قبورهم[6] وهو من أعمال دكالة، كما اعتمد المتصوّفة على الرقي بالحناء وكتابة التمائم والحروز أو القراءة على المريض –القرآن- وهي أشياء يستخدمها الطبّ الشعبي[7]، ونقل الناس تراب الشيخ أبي يعزى وتراب الشيخ أبي غالب النيسابوري للاستشفاء من الأمراض والقروح[8]، وهذا قصد التبرك بهم ويعد دليلاً قاطعاً على مدى تأثر العامّة بالأولياء وبطبهم، كما أن ظاهرة الاستشفاء أو التبرك بتراب قبور الأولياء أحدثت جدلاً كبيراً[9]، لكن يبقى الجانب الصحي هو الأساس في مدى الشفاء من الأمراض.

ويرجع الوزان سبب انتشار الوباء وعدم القدرة عليه، هو ظاهرة التمسح فقط بالتراب فقال: <<يظهر في بلاد المغرب كل عشر سنوات أو خمسة عشر وعشرين سنة، ولكن عندما يأتي يذهب بالعديد من الناس، لأنّه لا يهتم به أحد ولا يستعمل الدواء باستثناء التمسح بالتراب>>[10]، إن استخدام التراب ومحاولة المداواة به له أثر على الحياة الصحّيّة،

[1] نفسه، ص 277.
[2] أبي عبد الله التميمي، المصدر السابق، ص، ص 35،36.
[3] أبو محمد مع الله بن يحي بن يجاتن الزناتي من أهل العلم والعمل توفي عام 536هـ/1142م يشفى الناس بقبره وكان صاحب كرامّات. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص، ص 132، 133.
[4] نفسه، ص 132.
[5] أبو حفص ابن عمر بن مكيسوط الدغدوغي: من كبار الأولياء يشفى الناس بتراب قبره توفي في حدود سنة 540هـ/ 1146م، ودفن بمسجده الذي بناه بتافرينت من بلد دغدوغ من دكالة. ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 141.
[6] ابن الزيات التادلي ، المصدر نفسه، ص 141.
[7] محمد حقي، المرجع السابق، ص 76.
[8] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 140.
[9] التبرك: قال فيه الونشريسي (جائز مادام الناس يتبركون بتراب قبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب سيدي حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان، قلت هذا من القبيل ما جرى عليه عمل العوام في نقل تراب الشيخ أبي يعزي وتراب ضريح ابن غالب النيسابوري). ينظر: المعيار، ج1، ص 330.
[10] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 85.

فلربما كان الاعتقاد السائد هو أن تراب الأولياء أحسن للعلاج من الذهاب للأطباء، أو كانت الحاجة المادية سبباً في جعل الناس يقصدون هذا العمل الذي في نظرهم غير مكلف مادياً، ولربما كان هناك من يشفى من مرضه بسبب التبرك بالقبور أو أخذ التراب والاستشفاء به؛ وفي هذه الحالة يكون هذا الشفاء من المرض راجع للعامل النّفسي الذي له دور أساسي في عملية المداواة.

خاتمة

لهذا فإنّ عملية التطبيب عند المتصوّفة وباستخدام طرق متعددة كالدعاء والريق واللمس التي كانت في الغالب محل إعجاب وذهول عند العامّة فقد استطاعوا في عدة مواضع معالجة أمراض مستعصية، لكن يمكن أنْ تكون القناعة بالوالي وبكراماته سبباً أولياً في بداية الشفاء والارتياح النّفسي، كما تبقى تلك الأمراض التي استعصت على الأطبّاء واستطاع المتصوّفة علاجها؛ فهنا يمكن أن تكون إما لمعرفة أنواع الأعشاب والعقاقير أو لبركة الدعاء والكرامة.

ظاهرة التصوف نشأة بالمشرق الإسلامي وانتقلت إلى بلاد المغرب نتيجة لعدة عوامل، ومما يميزها هو حضور الكرامات لدى الأولياء وبمظاهر مختلفة.

لقد اعتمد الصوفية على أسلوب حياة جعل منهم محل ثقة لدى العامة، فقد آثر هؤلاء الفقر على الغنى وقاموا بالتصدق والإنفاق على المحتاجين من الفقراء والمساكين والعابرين للسبيل، فازداد تمسك فئات كبيرة من المجتمع بالصوفية.

اعتنى البعض من الصوفية بالطب وعالجوا الناس وفق منهجهم الذي كان بعيداً عن المعرفة العلمية بصناعة الطب، فقد اعتمدوا على الكرامات في العلاج والمداواة واستطاعوا أن يعالجوا الأمراض المستعصية على الطب العلمي في تلك الفترة، كما شكل الارتياح النفسي للعامة عند مجيئهم للمتصوفة والايمان بخوارقهم خطوة أولى من خطوات العلاج والتي تساعد المرضى على الشفاء مما جعل نسبة الشفاء من المرض عالية.

في فترة القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلاد كان الطب الشعبي موجودا في بلاد المغرب وكان الكثير من هؤلاء الأطباء يعالجون الناس بالاستعانة بالأعشاب والعقاقير،

استعان الأطباء من الصوفية بالأعشاب لكن كان إدراجها وفق منطق الكرامة التي لازمت المتصوفة في عملية العلاج، ولم نصادف خاصة في كتب المناقب أن المتصوفة اعتنوا بالجانب العلمي للطب أو كانت لهم معرفة حقيقية بطب المنتشر في تلك الفترة.

قائمة المصادروالمراجع

- ✓ ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحاذة، وسهيل زكار، دار الفكر، (د،ط)، بيروت: 2001م، ج1.
- ✓ عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، ط2،دارالفكر،دمشق: 1996م.
- ✓ ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود على مكي، ط1،دار الغرب الإسلامي بيروت: 1990م، ج6، ص 14.
- ✓ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت: 1983م، ج1.
- ✓ -ابن الزيات التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحي 617هـ/1220م، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء: 1997م..
- ✓ -موسى بن عيسى المازوني، مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، تح: عبيد بوداود، ط1، الرشاد للطباعة والنشروالتوزيع،الجزائر: 1436هـ/2015م.
- ✓ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس عصر المرابطين، (د، ط)، دار الطليعة،بيروت (د، س) .
- ✓ محمد المنوني، ورقات من حضارة المرنيين، ا، ط3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: 1420هـ/2000م.
- ✓ أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ت 781هـ/1380م، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة، الدار البيضاء: 1429هـ/2008م.
- ✓ أبو جعفر أحمد بن الجزار، طب الفقراء والمساكين، تح: الراضي الجازة وفاروق عمر العسلي، (د، ط)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون تونس: (د، س.)
- ✓ ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات الجامعة للبحث العلمي، الرباط، كلية الآداب، 1965م.
- ✓ أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 2002م.
- ✓ بختة خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (1315م) واقعه وأثاره، رسالة دكتوراه، جامعة اسطنبولي معسكر، 2015-2016م.
- ✓ إبراهيم القادري بوتشيش، الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصر المرابطين والموحدين مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية، مكناس، كلية الآداب.